413



تدريبات يومية

محمد السيد إسماعيل

شعر

تدريبات يومية

شعر

محمد السيد إسماعيل

وزارة الثقافة



سلسلة
أصوات أدبية

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• تدريبات يومية
• محمد السيد إسماعيل
• الطبعة الأولى:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2010م
128ص، 5ر13 × 5ر19سم
• تصميم الغلاف: د. خالد سرور
• المراجعة اللغوية:
نهلة فيصل
• رقم الإيداع: ٩٩٨٠/ ٢٠١٠
• الترقيم الدولى: 978-977-704-090-7
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 أ شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

413

سلسلة شهرية تعنى بنشر إبداع أدباء مصر
فى الشعر والقصة والرواية

تدريبات يومية

3

دعوة

كان كل شيء مُعداًّ :
الطاولة الكبيرة التى تتوسط البهو
والشمعدان
والزجاجات الصغيرة اللامعة
وواحد وعشرون كرسياً
واظهور الكثيرة التى تعكس الضوء
الظهور الكثيرة التى ظللت
- على مسافة بعيدة -
أنطر إليها
دون أن أنتبه
لانتهاء الحفل

٢٠٠٢/١٢/٣

مراقبة

أربعون عاماً
أربعون عاماً وأنت فوق السطح
ترقب جموع العابرين
بلا طرفة عين
كأنك تخشى الحياة
الحياة التى رأيتها دائماً
مثل كائن خرافىٍّ
يطوِّح بعصاه
فى منتصف الكون

٢٠٠٢/١٢/٣

الخروج صباحًا

أسبوعاً كاملاً وأنا أدخر هذا الحنين
أسبوعاً كاملاً أظنه كافياً - أخيراً - لكي أقوم من مقامي
دون انتظار عرشٍ محمولٍ في منقار طائر
فقط أفتح الباب
وأتحرك ببطء
كمن يزيح أطناناً من الرمال
بصدرٍ عارٍ وكفين ضعيفين
هاسى ساقى اليمنى
ربما كان من المناسب أن أحركها أولاً
ولا بأس إن نكست رأسى قليلاً
يكفى أن أرى الأرض

أن أرى موضع خطوتي الثانية
وسوف يكون عظيماً لو بلغت منتصف الطريق
لأنه سيكون من الميسور - عندئذٍ -
أن أقنع نفسي بإكماله
طالما كانت مسافة الذهاب
مساوية - تماماً - لمسافة الرجوع
هكذا سوف أسير
وأنا أردد بين كل خطوة وأخرى :
تقدم تقدم
تقدم ولو ببطء
كمن يجرّب حياته للمرة الأخيرة
بعد سنوات طويلة من الجهاد

٢٠٠٢/١٢/٤

نهاية

لم يكن الأمر على ما تصورنا دائماً
أن نخرج - كل يومٍ - فى بساطة فلاح
كى نكون أوَل من يرى الأرض
وهى تخرج - لتوها - من قبضة الله
وأن نعود مرة أخرى
كى نعاين كل شىء :
الماشية فى الحظيرة
الأطفال فى الأسرة العطنة
المئذنة العالية التى تخترق الأفق
مثل رمح أسطورى
صوت أبى الذى يشتد ضعفاً

النواة التى تسند البيت
لم يكن الأمر على ما تصورنا هكذا
لأننى اكتشفت للحظة مباغتةٍ
أننى أفقد نصف دمائى
بين الذهاب والرجوع
وأننى أنوء تقريباً
تحت عشرة أطنان من الرمال
وليس أمامى سوى أن أنهار
هكذا
مرة واحدة
صانعاً كومة عالية
تصلح أن تكون "تبة"
لا ينقصها سوى بعض "الغزاة"
وقطاع الطريق

٢٠٠٢/٢/٥

حكمة الهواء

لم يترك أى شىء
كان الليل مطبقاً
وكانت الغرفة التى صعدا إليها
محكمة الإغلاق
وبعد ساعة تقريباً
كان قد أنهى كل شىء
فعدّل من هيئته
ومسح المقابض الحديدية
وأنزل الستارة
وأطفأ الضوء الخفيض
وبعد أن خرج

لم يكن سواه فى الشارع الطويل
لكن الهواء كان أكثر حكمة
حين احتفظ بالرائحة الخفيفة
الرائحة التى مسحت المقابض
وأنزلت الستارة
وأطفأت الضوء
ونزلت السلم
وحاولت جاهدة أن تقطع - بهدوئها القاطع -
كل هذا الشارع الطويل

٩/١٢/٢٠٠٢

يقين

أنتِ فقط
النعمة اليسيرة التى تبقى أمام العين

٢٠٠٢/١٢/٩

حصاة الليل

هاهى الظلمة
الكف الرحيمة التى تمتد فى منتصف الليل
باحثة عن حصاتها الأخيرة
حصاتها التى قذفت بها كبد النهار وعين الشمس
حصاتها النبيلة التى ترحمها
من زحمة الأضواء
وعيون المارة
حصاتها التى هتكت هامة الشيطان
قبل أن تستقر على الجبل
حصاتها هذه التى لولاها
ما استطعت الآن أن أرى الأفق

بعينين ثابتتين

بعد أن نام الجميع

ولم يعد يهمني كثيراً

إن كان شخص ما على بعد ميلين

لا يزال ينظر إلى السقف

أو يحاول فتح النافذة

٢٠٠٢/١٢/٩

طائر البطريق

لم يعد يهمنى كثيراً إن كان هذا قد حدث منذ عشرة آلاف سنة

حيث كانت السماء تبدو كثوب أزرق اللون

أو خيمة كبيرة مشرعة فى الفضاء

لا يهمنى هذا كثيراً

بعد أن أصبح جناحاى عاريين

يكفى أنهما لايزالان يساعداننى على المسير

حتى آخر الحديقة

بحثاً عن الأنثى التى تحضن ما استطعت حمله

من جحر الغرام

٢٠٠٢/١٢/١٠

مركب قديم

يمكنكِ الآن أن تعاودى الذهاب
دون أن تتذكرى هذه الأشياء :
الطرحة الصغيرة التى وضعتها على رأسك فى بداية الرحلة
اهتزاز الجسد لموسيقى الصوت
المركب الذى أشعلته - دون أسى - حين هاجمنا البرد
الثوب الذى ضمنا عشرة أيام ونحن نروض المكان
لا شىء أبداً
فقط :
اتركى هذه السحابة البيضاء
وحدها

لعلها تدل خطواتى
على
بقايا
المركب
القديم

١٨/١٢/٢٠٠٢

الحطاب

هاهى الغابة أخيراً :
الأصوات الرابضة على حواف الماء
العبون الجاحظة
حنين اللبؤة فى الضوء الخفيض
المكر البدائى
الانقضاض فجأة على الجسد العابر
المخالب التى تفترس الأرض والأشجار والرؤوس

هاهى الغابة أخيراً
الغابة التى أخايلها الآن بيد معروقة وعينين ثابتتين لعلنى أقدر – بعد عودتى سريعاً – أن أرى أقدام هذه المدينة بعد أن

ظلت - لساعات طويلة -
تحاول الخروج

٢٠٠٢/١٢/١٨

رغبة دفينة

كان الأمر واضحًا تمامًا عندما استيقظ الرجل البدين فى الصباح الباكر حين كانت المدينة لا تزال نائمة.

والأقفال الثقيلة الباردة رمادية اللون تجلس فى حكمة بالغة أمام مداخل الدكاكين وصالونات الحلاقة ومحلات الخضا وبيت اللحاد المسن والمقاهى.

كان الأمر واضحاً تماماً عندما استيقظ الرجل البدين وركب حمارته الهزيلة وبعد ساعة تقريباً غاب تماماً.

قلنا : ربما طلبه الملك

لكننا لم نجد تفسيراً واحداً لما رواه البعض حين استيقظوا فجأة على حركة خفيفة فصعدوا فوق السطح ونظروا دون أن يفهموا تماماً :

كيف – عند آخر الطريق – غاب فجأة
وهو لا يزال واقفاً أمام بيته القريب؟!

١٨/١٢/٢٠٠٢

أحياناً أقاوم الذكرى

كل ما يمكن أن تفعله الآن
بعد كل هذه السنوات
هو أن تظل هكذا :
تلحس جدران البيت
تأكل أصابع الأطفال
تقعد أمامى بعينين ثقيلتين
ومخالب تفترس البلاط
وعندما تتعب
تنام لأسابيع طويلة
بأنفاسها البطيئة المنتظمة
وجسدها الذى يتوسط المكان

جسدها الذى يشبه مجموعة هائلة من الأجساد الصغيرة
التى ظلت طوال هذه السنوات كلها
فاغرة الأفواه والعيون

٢٠٠٢/١٢/٢٠

حيلة أخرى

حسناً
يمكنك الآن أن تتلقف المصباح
بعد أن ظل يهتز بعنف كل هذا الوقت
وأن تسلطه بقوة على الزوايا الرطبة
وأن تنتظر
ثلاثة أيام فقط
حتى ترى خروج آخر الأقدام
الأقدام الثقيلة التى غزت الغرفة
فى غيابك الأخير.

٢٠٠٢/١٢/٢٢

الكائنات

يمكنك الآن أن تلم خيوط الشبكة
أن ترجع للبيت
فهذه الكائنات التى انتظرت بعثها
لم تمت بعد
أو لم تمت تقريباً
حيث ظل بإمكانها أن تقف كل هذه السنوات
جاحظة العينين
تمد كفها اليمنى لكى تزيح ذلك الهواء
حتى تمر تحته
كما يمر جندى أخير
تحت قوس النصر

٢٠٠٢/١٢/٢٣

إيمان

أتجرأ أحيانًا
فلماذا إذن تنتابنى الرعشة
وأنا أمد يدى لصوتك العظيم
قبل أن أتخلص من جلدى الذى رجعت به من الشارع
قبل أن أتخلص من كل ذلك
الهباء.

٢٠٠٢/١٢/٢٤

عزاء

ثمة ما يثقب القلب
كأنه لوحة نشان
ثمة ما يطبقَ الرئتين كصفحتى كتاب
وتقريباً
لا طريق يخلو من المارة
فكيف إذن أرى آخر الشارع الذى تخايلنى صورته منذ عامين
كيف أجس التراب الذى يتوسطه
دون خوف ممن يتكأكأون علىَّ
كيف أرى الماء المرشوش على جانبيه
قبل أن يتحول لمستنقع كبير

يتصايح حوله العابرون
ثمة إذن ما يثقب الجسد
ولا شيء يعزيني أبداً
سوى ذلك القرص الملتهب الذي يشبه قبضة بيضاء
تتهيأ يومياً
لاختراق
الأرض

٢٠٠٢/١٢/٢٧

عبد الفتاح شهاب الدين

عشرة أعوام كاملة
وأنت تسير أمامى
بجسدك النحيل
ورقتك التى تقاوم الهواء
وصوتك المتهدج
فأين كنت تدخر كل هذه القسوة
القسوة التى جعلتنا ندور حول أنفسنا
عشرة أعوام أخرى
ونحن نبحث عن الدفتر الأخضر الصغير
الذى ذهبت به بعيداً
قبل أن نعثر على طرف الخيط الذى ظل - كل هذه

الأعوام -
ممسكاً بعقدة الكلام

٢٠٠٢/١٢/٢٩

عبد العزيز أحمد

أين تلك الجوهرة
الجوهرة التى خبأتها فى جيب بنطالك الأيسر
وظللت لسنوات عديدة تتحسسها
فى "بولاق الدكرور" وفى "الوراق" وفى "ميدان الجيزة"
سنوات عديدة وأنت تسير على صوتها الهادئ
فأين - بالتحديد - سال ضوءها الرهيف
بين إصبعيك ؟ !
وأى بضعة من التراب التأمت
من ذلك البريق ؟ !

٢٠٠٢/١٢/٣٠

عبد الله النديم

تسبقنى خيول الأرض نحو البيت
لكى تختار ما يستر وجهى
عند حراب الجند
فمرة تختار ثوباً أرجوانياً لساحر هندى
ومرة تختار بزة صوفية لدرويش غريب
ومرة تعيرنى أثواب ضارب فى الرمل
لكنها فى كل هذه المرات
لم تسترح أبداً
إلا لبشرتى السمراء
ترزح تحت الثوب

٢٠٠٣/١/١٧

ديك الجن

كان هواء البيت
أثقل مما اعتدته بالأمس
والرعشة التى كانت تهزّنى من جمرة الكلام
أخلفت موعدها
وخلَّفتنى - هكذا - أنهش جلد الأرض
وفجأة
- وعندما لاحت لعينى وهى تعبر الطريق -
فكرت أن الكأس نفسها مصابة بالعتمة
وأنها فى حاجة لبعض الضوء.

٢٠٠٣/١/١٧

أسرة كبير تنتظر الحرب

- أعدى وجبةً واحدة

ربما تكون أكثر من حاجتنا

- لا ينبغي أبداً أن نبقى هنا

فالمخابئ كثيرة وأكثر رحمة

- سوف تقول إنها تشبه الرحم

أنا أعرفك

- لابد من إحضار بعض الشمعات

- لا ضرورة لذلك .. سيكون ضوء النيران كافياً

- أو ربما قلت إنها تشبه سفينة أرضية

- لن تكفى أبداً وجبة واحدة

- أين الحزام الجلدى

- لابد أن أسرة "زينب" ستكون معنا
- أعدى ما تشائين
- ربما كان من المناسب حقاً أن تقول إنها تشبه بطن الحوت

لم تتكلم كانت عيناها تدوران فى أرجاء البيت
ويداها لا تكفان عن العمل
فقد كانت مشغولة - فقط -
بإعداد "رضعة" كبيرة لوليدها السابع.

٢٠٠٣/١/١٧

مكان صغير مغمور بالضوء

أحيانًا كثيرة أقف أمام الحائط وأتحدث
دون أن يعنى ذلك شيئًا
مثلاً :
أن أكون مصلوبًا عليه
أو :
أن أكون منتظِراً لشخص ما سوف يأتى أخيراً
كى نختبر قدرة دمائنا على التمايز
كل ما فى الأمر
أننى أستشعر ثقل الهواء
وأننى غير قادر فعلاً على فتح النافذة
أو تحريك مقبض الباب

وأننى أصبحت أرى الوقت مثل فقاعة كبيرة طافية على سطح الماء

وأخيراً اكتشفت أن لنظراتى فاعلية غريبة

وهو أمر مؤسف

لأننى أوقفت - ذات مرة - طابوراً طويلاً من السيارات

بمجرد نظرتى للسيارة الأولى الحمراء التى كانت فى المقدمة

ومن سنوات بعيدة أحببت "نشوى"

فتحولت - بمجرد نظرتى أيضاً - إلى حمامة بيضاء

ما كادت تقف على كتفى حتى طارت

متحولة - من تلقاء نفسها هذه المرة - إلى نجمة صغيرة

دون خيط واحد يمكن أن أتسلقه

كل ما حدث

أنها - من يومها - لا تزال ترسل أشعتها البيضاء الكثيرة

على المكان ذاته

دون أن أجرؤ - رغم اقترابى الشديد - على النظر إليه.

٢٠٠٣/٢/١

محاولة أخيرة

كانت المرة الأولى التى أراه فيها
كان عميقاً غائراً يضرب عرض الحائط الكبير
يبدو أنه قد بدأ منذ عام كامل دون أن أنتبه إليه
كان يشبه جرحاً كبيراً يتخلل الحائط
من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار
ومع ذلك لم أنشغل به كثيراً
كل ما أذكره
أننى وضعت جذع نخلة قديمة بجواره تماماً
ثم وقفت على مسافة قليلة تمكننى من رؤيته كاملاً
كأننى - فقط - كنت أختبر
قدرته على البقاء

أو السقوط
السريع

۱۰/۲/۲۰۰۳

شكل أخير

المطر ! !
كيف شُغِلت عنه كل هذا الوقت
كانت الثالثة
حين بدا زجاج النافذة أسود
رغم انطباع صورة المصباح عليه
والذى ظهر - بوضوح - مثل رجل معلق من قدميه
رجل بعين كبيرةٍ متوهجة فى منتصف رأسه
هل كان يراقب الشارع ؟ !
ما الذى كان يصنعه فى هذه الساعة ؟ !
كل ليلة
لم يكن المطر يثير شعوراً محدداً

كان – على أفدح الفروض - أشبه بلحظات تراجيدية عابرة

فلماذا ذكرنى هذه المرة

بالرجل الذى انفجر منذ عامين

وهو يتأمل أعضاءه فوق البناية المجاورة

ها هو الآن أو منذ عامين

ينفجر ويتمدد ويستريح

مستشعراً – فى تمام الثالثة –

لذة

أن

يكون

فوق

الأرض

٢٠٠٣/١٠/١٢

صديق

لم تكن "المستشفى" نهاية المطاف
كان فقط يزورها على فترات متباعدة
دون أن يمكث فيها طويلاً
لأنهم كان يملأونه بالمواد الكيماوية بمجرد دخوله
إلى الدرجة التى لا يستطيع بعدها
أن يحمل "كوب الشاى"
أو يشعل "سيجارة"
هو الذى كان لا يكف عن التدخين
واقتراف المعارك الكبيرة
حدث مرة
أنه خرج إلى منتصف الشارع

ملوحاً بيديه وهو يصيح

بصوت حاد وعينين واسعتين:

هذه الأرض لنا

وإلا أين تكون الثورة

كان ذلك بعد سهرة سريعة ليلة الأربعاء

السهرة التى غاب بعدها ثلاثة أعوام

....

....

....

الآن :

هو هناك

لا يبرح المقهى الواقعة على أطراف القرية

يشرب الشاى

ويتأمل العابرين

وأنا هنا .... أحمل له كل هذه الذكريات

٢٠٠٣/٢/١٣

يد بيضاء

أين أنت ؟
لقد أعددت البيت
ووضعت الملاءة البيضاء على السرير
ونظرت إليها جيداً
فوجدتها تكفى لنومة هادئة
ونسيان عشر سنوات كاملة
ألا ترى ؟
ثلاثة أعوام وأنا أجلس فى المنتصف
أريد أن أرى فقط
ظهر السماء الأولى
فأين يدك الطيبة ؟

يدك التى تمتص ماء الورق
ثم تشير على الجميع أن يلزموا الصمت
كاعتراف بسيط بهديتها الأخيرة
نعم
فما الذى يمكن أن نقوله
سوى أن يدك هذه
أكثر شجاعة من أيدينا
لأنها الوحيدة القادرة على كسر الزجاجة
دون أن نشاهد - ولو لدقيقة واحدة -
أشلاءها الكثيرة

٢٠٠٣/٢/١٤

بعد منتصف الليل

هؤلاء المجرمون
لا يعرفون معنى أن أقف ثلاث عشرة ساعة فى البرد
دون أن أتمكن من التبول
أقف بلا حماس
عيناى على الأكياس المنتفخة
التى تتكاثر فى هذا الوقت
كم هى طرية ولامعة
خاصة بعد اندفاق كل هذه الأضواء عليها
إلى الدرجة التى يمكننى أن أرى كل جزء فيها
كم أنا فى حاجة إلى التبول
أو مجرد التجول السريع

فقط ... حتى آخر الشارع
حيث لا يزال أمامى سبع ساعات كاملة
أقفها بلا حماس
يدى على فوهة البندقية
وعلى أتم استعداد كى أضعها - بلحظة واحدة -
فوق الزناد.

٢٠٠٣/٢/١٥

فترات متباعدة

يتذكر الجميع
أنه كان بلا أسنان
وأنه عندما ولد
ظل يضحك كثيراً
بحركات عصبية واضحة
حتى اتخذت يده اليمنى
شكل قبضة دائمة
وأنه ظل على مدى ثلاثين عاماً
يحتفل بظهور نابه الأول
ومع ذلك أحبه الجميع
وكثيراً ما كانوا يبتسمون

وهم يختلسون النظر إلى قبضته
ويتناقلون قوله الأثير :
الأرض بالونة
وقبضتي مسمار
وأكثر من ذلك أنهم كانوا يقلدونه فى الليل :
يضحكون بعصبية
ويصنعون قبضات هائلة
تكفى - وحدها - لحفر الأرض
أو إيقاف الأطباق الطائرة
يحدث هذا كثيراً
على فترات متباعدة

٢٠٠٣/٢/١٥

مشاهد ثابتة

سأنتظر
ربما تكون الآن فى منتصف الشارع
تعبره قفزاً
وترتعد من شدة البرد
ما الذى فى يديها ؟
مائدة السماء ؟
رائحة المريولات ؟
الأنفاس الأخيرة للسيد إسماعيل ؟
بهو دار العلوم ؟
المشاهد الكثيرة التى عبرتنا بلا رحمة ؟
أمطار ٨٧ ؟

ما الذى تحت ثوبها إذن؟

....

....

هاهى - منذ لحظات - أمام الباب

هل كانت تراقبنى؟

هل كانت تتأمل الرعشة الخفيفة فى ذراعى الأيمن؟

وما الذى أوقفها؟

وأنا أتحسس نبضها المتدافع

وأمر على جسدها بلسانى

ثم أحبسها هنا

فى هذه الورقة.

٢٠٠٣/٢/١٧

قدرات ماضية

فى الخامسة عشر
أى منذ ما يقرب من عشرين عاماً
كان بوسعى أن أحفر بئراً عميقة أمام البيت
بمجرد نظرتى من النافذة
وأن أشير إلى الماء فيرتفع مثل نافورة
غامراً وجهى برذاذه اللامع
وقبل أن أرفع يدى عالياً
أجد أسراباً عديدة من الطير
هابطة
تضرب - بأجنحتها الصغيرة - سطح الماء
ما الذى كان يمنحنى هذه القدرة؟!

وكيف كنت أدخل السماء إلى غرفتى
وأتجول فيها
دون تصريح من الملائكة
الذين كانوا يقفون على مقربة منى
وهم يبتسمون
من جرأتى العجيبة
وثيابى القليلة التى لا تشبههم
حدث هذا كثيراً
وهو الأمر الذى مكننى - حتى الآن -
من السير على الأرض
والزواج
وإنجاب طفلين
والتفكير بهدوءٍ
فى مستقبل الأسماك الصغيرة هائلة العدد
التى تتحرك بلا هدف محدد
داخل نهر النيل

٢٠٠٣/٢/٢٠

معجزات صغيرة

لم تكن يدها الدليل الواضح الذى انتظرته كثيراً عند الشاطئ

ولا نغمات الضحكة الخجول

ولاخيمة الشعر

أو اتساع العينين

كان شيئاً ما كأنه الحدس هو الذى قادنى إلى هذا المكان

الذى مكثت فيه طويلاً

متردداً بين أشجاره العالية البيضاء

ودفقات السحر التى تهطل من اليدين

دون أن يخلو الأمر من بعض المعجزات الصغيرة

مثلاً

حدث يوم الاثنين
أننى اتكأت على صخرة
فرأيت الماء
وذات مرة
ركزت رمحى فى تلة
فاهتزت وربت
وظلت ممسكة بساقي لساعات طويلة
وكنت كلما أمسكت بحجرة أضاءت ما حولها
هل ظل هذا سبعة أعوام؟!
ربما
كل ما أدريه أن المكان ظل يتسع بلا رحمة
متخلياً عن ضيقه الأليف
وأن معجزاتى الصغيرة لم تعد كافية
وأننى مهيأ - حقاً - لرحلة أخرى .

٢٠٠٣/٢/٢٠

نعمة الإيقاع

من قال هذا؟!
وهل نحن أغبياء
حتى نظل هكذا
دائرين حول أنفسنا
يكفى أن أكون هنا
على سريرك الهادئ
وأرجوحتك الخفيفة
ولن يهمنى كثيراً
كم نهاراً سوف يمضى
وأنا أكتشف حرفك الأول
وأختبر قدرتى على التحمل

بعد أن أتأكد - فقط - من قدرتك على قطع المسافة
في اتجاه صمتي المريب
وحركة أصابعي الكثيرة
معتبراً ما عدا ذلك
مجرد فكرة تتطوح تحت الشمس
وهي تنظر - بحسرة -
للإيقاع الصاخب

٢٠٠٣/٢/٢١

فوهة كبيرة أعلى التل

تصورى
بالأمس فقط
كنت فى زيارة إلى السهل القريب
فلم أجد المرج
ولا الربوة الصغيرة التى حدثتك عنها
ولا النبع
لابد أنك تذكرينه
النبع الصغير الذى حفرناه بأصابعنا
ليلة الذكرى الثالثة
والذى حامت الطيور حوله خمسة عشر يوماً
حتى خفت الأرض

ولم نجد بداً من وضع بعض التلال القليلة
على الحدود
وجدت فقط
تصورى
حصاناً مجنحاً يبكى
ويضرب بحوافره الهواء
ويحدق فى التلال
فهل كان يقصد هذه الفوهة الكبيرة
التى أراها - هنا - للمرة الأولى

٢٠٠٣/٢/٢١

اليأس: صاحب كبير

نعم
المقعد أخيراً
والسقف الذى يحجب الشمس
والظلمة البطيئة التى تلتهم البلاط
وصاحبى الكبير :
اليأس
الذى أصبح - فجأة - رجلاً فى الخمسين
يتكئ على عصاه
ويهش بها على ذريته الضالة
ولا يكترث بالينابيع
لأنه يراها مجرد دمعات كبيرة

لائذة بالأرض
وأحياناً كثيرة يسخر من الشمس
واصفاً إياها بالعدوة التقليدية للراحة
وأنها مجرد مصباح كبير
يتسلط يومياً على سوءاتنا
ويدفعنا للخروج - قهراً - إلى الطرقات
لاكتشاف عجزنا عن الوقوف.

٢٠٠٣/٢/٢١

سهرة الأمس

في سهرة الأمس
تحدثت كثيراً
كنت أشبه بمن يزيح طبقات كثيفة من الغبار
الذى تراكم على جسدى فى الخروج الأخير
وكانت هى تبتسم
وتشير علىّ - دائماً - أن أكمل
كانت كمن يريد أن يرى لون جلدى
ولو لمرة واحدةٍ
وعندما سألتنى عن السبب
قلت لها لا شيء
كل ما فى الأمر أننى - يومياً - وبعد خروجى مباشرة

أجد ألف رجل وامرأة
جالسين على قارعة الطريق
بمؤخراتهم الثقيلة التى يأكلها التراب
وهم يشيرون إلىّ ويتساءلون :
يكون أولا يكون
لكننى - كما تعرفين - أندفع أو أدفع
بحثاً غن نهاية الطريق
وأنا أردد لنفسى :
أبداً
لن تكون هذه هى المشكلة
قلت هذا
وأنا أضغط بعنف
على طرف المقعد

٢٠٠٣/٢/٢١

اللافتة

عندما هبطوا بطائراتهم
وأراحوها على الأرض
بعد شهور طويلة من الدماء
لم يجدوا شيئاً
كان هناك فقط :
عدة أبنية قليلة
ومجموعات متناثرة
وكميات كبيرة من التراب
وسؤال كبير يتردد :
ما الذى سوف يكتبونه على اللافتة ؟!
وكم عيناً سوف تكون راغبة فى قراءتها ؟!

٢٠٠٣/٢/٢٢

انتصار أخير !!

ها نحن إذن
بمعداتنا الثقيلة وآلات القياس
بالعربات المصفحة والخوذات وشاشات العرض
بالأعلام البلاستيكية ذات القوائم المعدنية اللامعة
ها نحن إذن
أخيراً
فوق هذه الأرض التي نستطيع أن نرى حدودها
بالأعين المجردة
وسوف ننتظر كثيراً
لا بأس
حتى نزيل كل هذه الأجساد

٢٠٠٣/٣/١٤

هيئة المنتصر

كلنا مسؤول عن هذه الجثة
أنا مثلاً شاركت بالصمت
وأخي الأكبر شارك - دون تردد -
بإحضار كميات كبيرة من الحبال
واستضافة مالا يحصى من الوجوه البيضاء
وخالي غير الشقيق شارك بغلي الماء
ورشه بالعدل على وجوه الغاضبين
وربما يكون أبي قد شارك أيضاً
قبل موته الأخير
بقطع السبابة اليمنى
حتى ولي الدم

الذى وقفت الجثة أمامه
عشر سنوات كاملة
تتلقى الرصاص فى صدرها
شارك هو الآخر
بإغلاق عينيها
والوقوف عند رأسها
فى هيئة المنتصر

٢٠٠٣/٣/٤

حديقة الرءوس

- ما عدد جماجمهم هذا اليوم ؟
- خمس وثلاثون
- كالعادة تحتاج إلى أسبوعين
- هذا أقصى جهدى :
أفرغها فى يوم
وأعرِّضها يومين لضوء الشمس
وأمنحها للصبية ليسووا الأطراف ثلاثة أيام
وأقوم أنا ....
- لا
أسبوع واحدْ
أسبوع لا أكثر يا خلاف

- مولاى ! !

- أسبوع يا خلاف

هذا آخر ما عندى

- سنحاول يا مولاى ؛ سنقربها أكثر من ضوء الشمس

- حسناً

فأنا لا أقدر أن أصبر أكثر من ذلك

ما زال المدخل يحتاج إلى أصص الزهر

٢٠٠٣/٣/٢١

مطاردة

بعد منتصف الطريق تقريبًا
قبعت
فدار حولها ثلاث دورات
ثم مشى
ليرتاح قليلاً تحت شجرة مجاورة
وعندما استيقظ
كانت لا تزال هناك
تماماً كما تركها
تنظر بعينيها وتتأمل الدائرة.

٢٠٠٣/٣/٢٦

قبل الخروج مباشرة

الملعونة التى ذهبت سريعًا
قبل أن تعدِّل ياقة القميص
وقبل أن تلقى نظرة سريعة على المكان
ما الذى كان يعجلها على هذه الصورة؟
لابد أنها تذكرت أمراً هامًا :
بائعة الكحل أو مدرب القرود
الملعونة التى ظلت طيلة الليل تقنعنى
أنها تسمع نحيباً متواصلاً يأتى من خارج الغرفة
وأنها قبل مجيئها مباشرة
كانت تعدو بلا هدف تقريبًا
أمام قدم ثقيلة تتبعها

الملعونة التى رسمت - على عجل - صورة لحمار يحمل عائلة

ووضعتها تحت زجاج المكتب

ما الذى دفعها لأن تفسد الليلة على هذه الصورة؟!

وأين أجدها الآن؟!

الملعونة التى كتبت - قبل خروجها مباشرة -

وصية من سطر واحد :

أرجوك

لا تدخر وسعًا

فى التدريب اليومى

على رؤية الأعداء.

٢٠٠٣/٢/٢٤

الدعاء الأخير

أى لعنة هذه؟!

كان من الممكن أن يقول

لتنزل عليك الصاعقة

أو لتخترم الرماح صدرك

كان من الممكن أن يقول شيئاً من هذا

أن أموت - فجأة - فى حادث غامض

أن أجد نفسى - بلا مقدمات - فى قاع بئر عميق

كان من الممكن أن يقول هذا

لكنه تمنى لى - دون أن أدرك السبب حينها - طول البقاء كنت قد أوثقت ذراعيه من الخلف

ودفعته بقوة لكى يسرع

حيث المسامير والأشهاد
فتعثر قليلاً
ثم نظر إليَّ بعنيين ثابتتين
متمنيًا لي طول البقاء
. . . .
. . . .
وها أنا في عامي الخمسين بعد الألف
ولا أزال هائمًا في الأرض
فجأة أراني في مدينة وفجأة أكون في الصحراء
أنام عامين بجانب الجدار
تصعدني الحشرات
تلحسني ألسنة الكلاب
وفجأة أقوم مذعوراً على صوت الرياح
. . . .
. . . .
وها أنا في عامي الألفين
حفرت آلاف القبور
أحضرت ما يكفي من المسامير
لعلني أقدر - عند نهاية المضيق - أن أرى
- في الرمق الأخير -
وقفة الأشهاد

٢٠٠٣/٣/٣٠

صورة بعيدة

ألف مرة
مرات عديدة لا تحصى
وأنا أنتظر هذا الحدث المفاجئ
الذى تخيلته - عشرة أعوام كاملة - على هذه الصورة :
حفرة عميقة جداً
فى قاعها تماماً
شبح لجسد
ظل - بثقله الفادح - يتوسط الخيط الرفيع
الذى يفصل بالكاد
- دائماً -
بين رغبتى فى الخروج
وعتبة المنزل

٢٠٠٣/٤/٢

قبلة حمراء

هل كان من الممكن
أن أنظر إلى المرايا كل هذا الوقت
أن أقطع ذلك الطريق كله
وأنا أحمل على كاهلي
أكياس الجرانيت
أن أرفع كل هذه الكراسي الخشبية
فوق أسناني
وأنا شارد تمامًا
أن أطير خلف صوت يثقب صمت الليل
أن أتنبأ - صادقًا - بسقوط ثلاثين نجمة فوق سطح البيت
هل كان من الممكن

أن يتجول جسدى هكذا - بحرية تامة - فى أرجاء الكون

هل كان من الممكن . . . .

. . . .

دون أن أتذكر - دائمًا - سريان القبلة الحمراء فى دمى
كل هذا العمر .

٢٠٠٣/٤/٢

ابن سيدون

عجيب أمر هذا الكون
فالأبقار لا تزال سائرة - بطاعة غريبة - إلى الحظيرة
ولا تزال أذنابها موصولة من طرف واحد
بأجسادها الضخمة
ولا يزال الماء - كما عهدناه أخيراً - يسد مداخل البيوت
والدكاكين والساحات
حتى كأننا انتهينا هكذا :
قوم جلوس حولهم ماء
ولا أزال أنا نفسى
كما يعرفنى الجميع من ستين عاماً
أحمل نفس الاسم ! !

٢٠٠٣/٤/٤

عشرة توقيعات

قالوا له :

الأمر طبيعى

أنت لا تحتاج سوى عشرة توقيعات

لكنه لم يستطع أبداً أن يشاركهم هذا الرأى

كان قد بلغ الستين

وكان قد تزوج منذ ثلاثين عاماً

وأنجب ثلاثة أبناء

يراسلونه الآن بانتظام

وكانت زوجته - طوال هذه الأعوام كلها -

لاتكف عن إعداد الطعام

والحديث بعصبية

ومشاهدة الأفلام القديمة
والضحك بصوت عالٍ
الذى كان دائمًا ما يفزعه
كان يخرج فى السابعة
كأنه يخرج من تابوت
ثم يعود طواعية
ومن تلقاء نفسه دائمًا
فى تمام الرابعة
هكذا فى حركة لا تنتهى
وهو الأمر الذى حرمه - بقسوة - من اختبار قدرته
على وصف الشرفة
التى بناها بعد سبع سنوات من عمله المنتظم
أو التمتع باللون الفضى الذى اختاره بعد عناء
لواجهة البيت
كانت آلاف الأوراق التى يقلبها - يوميًا -
فوق المكتب العتيق
تملأ عينيه بالغبار
وتهيئه تمامًا كى يدخل التابوت
فى تمام الرابعة
والآن
بعدما يزيد على أربعين عامًا

لم يعد يحتاج سوى عشرة توقيعات فقط
تقول بوضوح
إنه لا يزال قادراً
على التنفس

٢٠٠٣/٤/١

قرون ماضية

فى الظهيرة
وبعد أن استقرت الشمس تمامًا فى كبد الأرض
وبدت صخور الطريق كرؤوس حيوانات منقرضة
وتدفق الماء الساخن فى القنوات
عابرًا الجسر الكبير
تجمع آلاف الفلاحين
لم يطلبوا شيئًا
توقفوا فحسب
أمام البوابة الكبيرة
رافعين أياديهم الفارغة إلى أعلى
"ماذا يريدون؟!"

تساءل الحرس
اقتربوا أكثر
هزوا بأيديهم قضبان البوابة
"ماذا يريدون ؟ !"
انفتحت عن آخرها
مفزوعًا ، بملابس النوم الخفيفة - استيقظ الملك -
على صوت الرصاص :
ماذا تفعلون ؟ !
كان لابد أن تنتظروا
لكنه لم يتوقع أبدًا
أن يتجرأ أحدهم قائلاً :
وهل كنت - سيدى -
ستأمرنا بغير ذلك ؟ !

٢٠٠٣/٤/١٥

بعد نقاش طويل

لم أنس أبداً

بكاءه المرير

عندما تذكر "الحسين"

بالتحديد

عندما تذكر لحظة قتله

ما قاله بالضبط

ملامح وجهه وهو يستقبل الطعنة

نبرات صوت القاتل

كل ذلك ...... كل ذلك

كأنه يحفظه عن ظهر قلب

كان يراه أمامه

في تمام الساعة السادسة من يوم الأربعاء
وبعد نقاش طويل حول "ولاية الفقيه"
لكننى - للأمانة - لم أندهش
كان كل ما يفعله يشير إلى ذلك :
استيقاظه فى الليل مفزوعًا
شرقه الدائم بالماء
المرارة الكامنة فى صوته
خروجه المبكر من البيت دون سبب واضح
كان كل ذلك يشير بوضوح
إلى ما فعله فى تمام الساعة السادسة من يوم الأربعاء
لكننى - للأمانة أيضًا - لم أستطع - فى هذه اللحظة
الحرجة - أن أقول له :
إن مزولة الوقت قد مرت - فى غفلة منا جميعًا -
ما يزيد على ألف وخمسمائة عام
وهو وقت كافٍ تمامًا
لكى نصير ينبوعًا
شريطة أن يؤمه الأيتام
وعابرو السبيل.

٢٠٠٣/٤/١٦

السيدة الوحيدة فى شارع "فاطمة رشدى"

هى الآن
وبعد خمس سنوات
تحفظ كل شىء :
المقعد الوثير فى مقدمة الصالة
المكتب البنى
الغبار الثقيل الذى يعلو المصباح
"قهوة" الساعة الرابعة
الممر الطويل الذى ينتهى بغرفة "النوم"
الرطوبة الواضحة فى مدخل الشقة
الثوب المناسب لكتابة المقطع الأخير
كل يوم تصنع هذه الأشياء

"الماضى" فحسب
هو التمثال الناصع الصغير الذى لم تجد له مكانًا
ولم تكن تستطيع - رغم مجاهداتها العديدة -
أن تفعل شيئًا
فى الفترة الأخيرة
تمكنت - بصعوبة بالغة - من استحضار هذه الروح الخفيفة
التى مرت - للحظة سريعة - أمام النافذة
وظلت - لأسباب كثيرة تعرفها - تبتسم
وهى تسير - فى هدوئها المعتاد -
نحو الشارع البعيد

٢٠٠٣/٤/٢١

اعتراف أخير

كانت الرابعة
هكذا يمكننى أن أتذكر
حيث كانت السماء لا تزال غائمةً
والطريق هو الطريق نفسه الذى عبرناه كثيراً
كل شيء واضح
حتى الحديث الخافت الذى قلته دون أسى :
"سأنتهى هنا
فى ذلك المكان الذى تشيرين إليه الآن
بعد عشرين عامًا على الأقل
متكئًا على المقعد ذاته
وفاردًا ذراعى كما لو كنت بجانبى"

شيء واحد فقط
هو الذى سوف يدفعنى دائمًا
- بعد كل هذه الأعوام -
إلى أن أغرز أظافرى فى الجدار
حين اكتشفت أنه كان من الضرورى تمامًا
- بعد ذلك الاعتراف الأخير -
أن أصطحبها إلى طريق جانبى
وأن أقبلها بقوة تناسب حنين الأعوام الثلاثة
التى قضيتها فى وصف حركة الساقين
لقد كان من الضرورى فعلاً أن أفعل ذلك
بدلاً من القفز وراءها تحت المطر
وتأمل شعرها الطويل الذى حجب الرؤية
شعرها الطويل الذى لم أستطع أن أراه جيداً
كما أراه الآن
بكل ذلك الوضوح

٢٠٠٣/٥/٤

عمر جهان

كان عليَّ إذن
بعد نصف ساعة تقريبًا
أن أتأمل النقطة الصغيرة اللامعة فى المنتصف
وأن أضع مجموعة مناسبة من الفرضيات
كأن أقول مثلاً – بلا ثقة كبيرة – إنها تعنى :
١ – التفاحة الحمراء التى لم يكن أمام "آدم" سوى اقتضامها
لسبب واحد فقط
هو أنه أحس بانقباض مفاجئ فى صدره
ثم تخيل – للحظة – أن دماءها الداخلية
كافية تماماً التخفيف الهواء

٢- عين "دنلوب" التى ظلت خمسة وثلاثين عامًا
معلقة بالشراع الأبيض البعيد
٣- طلقة "الفرشاة" الأخيرة
٤- التجميع السريالى لطعنات الظهر
٥- بداية الصعود

....

....

....

هى أيضًا - على وجه اليقين - النقطة التى فى المنتصف
والتى سوف تتركها هكذا:
صغيرة
ولامعة

٢٠٠٣/٥/٤

زيارة

كان لابد أن يصعد
كان لابد أن يطرق الباب
وأن يجلس قليلاً
ذلك الصديق الذى غاب ثلاثة أعوام
ثم ظهر فجأة فى منتصف الشارع
وهو ينادى بصوت خفيض :
محمد
هل أنت هنا ؟
كان لابد أن أخرج له
وأن أتهلل لرؤيته
وأن أمنحه فرصة ثانية للضحك

ونحن نتذكر القشة التى قصمت ظهر البعير
أو حكاية الفأر الذى قرض شبكة الأسد
فلا شك أن ذلك أفضل كثيراً
من الجلوس فى منتصف الغرفة
وتأمل الشرفة المغلقة
أو حساب حرارة السقف
علىّ إذن من الآن
أن أتدرب على امتلاك الشجاعة المناسبة لمقابلته
ومواجهة سؤاله البسيط
الذى يقوله - وأنا واثق من ذلك - ببساطة شديدة
وهو يربت على كتفى صائحًا :
أين أنت الآن ؟ !

٢٠٠٣/٥/٢٠

طبقات كثيفة من الغبار

الآن فقط
وبعد مرور ثلاثة أعوام
يمكنك أن تتوقف - بهدوء - أمام الغابة
وأن تفكر فى أصل هذه الكائنات
وكيف استطاعت هكذا - بلا جهد واضح - أن تسير على ساقين
أنت الآن فى قلب الفانتازيا
حيث أصبح كل شىء يعينك :
اللون والحركة والصوت
مواعيد الدخول والخروج
أنواع الطعام، الأفلام، جهاز التسجيل، عناوين الكتب،
وتأويلات الأسماء

لقد كان كل شيء غريبًا
لأنك لم تجد تفسيراً كافيًا لكل هذه الدماء
أو لقطع اللحم البارزة من الأفواه
أو لذلك الطقس اليومي الذى كان يتكرر فى الخامسة تمامًا
حين ينبطحون - فجأة - على الأرض
وهم يلحسون مواقع القدمين
أو يتشممون آثار الكلام

والآن
لم يعد يجديك أبدًا
أن تقول فى هدوء :
نعم
لقد كنت - حقًا - فى قلب الفانتازيا
لأنك فى الوقت ذاته كنت - وربما لا تزال -
تخوض طبقات كثيفة من الغبار.

٢٠٠٣/٧/١٩

مشهد قديم

إلى متى سوف أظل هكذا :
ساقاى فى منتصف الطريق
وليس لى من عمل
سوى الصياح كل ساعتين :
انتبه
انتبه أيها الجسد الضخم
فلا أزال واقفًا
ولا تزال كل هذه الوجوه
- من سنوات عديدة -
تحاول الخروج ؟!

٢٠٠٣/٧/٢٥

رغبات كثيرة

ربما كان من المناسب ،
فى هذه اللحظة الفاصلة ،
بين العنق المائل والنصل ،
أن أقول – دون مرارة – :
لا بأس
فقد انتظرت هذا كثيراً
وهاهو يأتى – الآن – بعد رؤيتى الأخيرة ،
واضعاً نهاية لهذه الرغبات الكثيرة ،
التى ظللتُ أركض وراءها فى الطرقات ،
دون أن أدرى – للحظة واحدة – أنها لم تكن تشبه
سوى بقعة الدم الكبيرة ؛

التى تترقرق الآن
تحت أقدامى

٢٠٠٣/٧/٢٩

خللٌ واحدٌ فقط

لم أكن أدرى - بالضبط - متى يمكن أن يحدث ذلك
كانت الثالثة صباحًا
عندما ذهبوا سريعًا
بعد أن تحسسوا جيوبهم جيداً
وتأكدوا من خوائها
تاركين لى كل شيء :
- منفضة السجائر الممتلئة
- أكواب الشاى الفارغة
- الأوراق القليلة التى تبادلناها فى صمت
- موعد الخروج السريع
لكننى لم أكن مطمئنًا

ولم أكن أدرى - بالضبط - متى يمكن أن يحدث ذلك
الأمر الذى توقعته كثيراً
أن يحدث خلل ما
فأجدهم أمامى
هؤلاء الذين كنت على ثقة كبيرة فى قوة حواسهم
والذين لا يعنى - أبداً - وجودهم هناك
أنهم غير موجودين هنا
الآن
فى هذه الغرفة التى أحاول - بحذر شديد -
ترتيب أوراقها.

٢٠٠٣/٨/٣

المحتوى

للنشر في السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً في سلسلة

أصوات أدبية

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلى سابقاً)

أربعون عامًا

أربعون عامًا وأنت فوق السطح
ترقب جموع العابرين
بلا طرفة عين
كأنك تخشى الحياة
الحياة التى رأيتها دائمًا
مثل كائنٍ خرافىّ
يطوّح بعصاه
فى منتصف الكون



www.gocp.gov.eg
www.qatrelnada.com.eg
www.althaqafahalgadidah.com.eg
www.odabaaelaqaleem.com

الثمن : جنيهان